مغامرات هاكلبري فن

مقدمة:

أصبحت المجتمعات مفتوحة على بعضها البعض بسبب العولمة والمصادر المفتوحة التي نجدها في كل مكان، فنرى شبكة الإنترنت والتلفاز والأقمار الصناعية، ولكن على الرغم من ذلك نجد دائما الكتاب خير رفيق، حتى مع العصر الذي انتشرت فيه التكنولوجيا وأصبحت هي أساس معاملتنا اليومية، فالمكتبات والكتب أصبحت مرقمنة، إلا أن الكتب التي نستطيع الإمساك بها بيدينا، وأن نتحسس ما بها حتى نغوص إلى أعماق البحار بها، ثم إلى القمر والفضاء بعيدًا عن وجه الحياة، ثم العودة إلى الأرض ومن يعيشون عليها، فالكتب لا يستغنى عنها مهما كان المكان أو الزمان.

تظهر أهمية الكتاب في كونه أصدق راوٍ للأحداث والعبارات والحقائق، فلو تخيلنا الحياة من غير كتب، لاتجهنا لرواية (فهرنهايت 451) للكاتب (راي برادبري)؛ فتذهب بنا الرواية إلى عصر لا يوجد به كتب، بالطبع تغيرت طباع المجتمع وثقافته بالكامل، فقد أصبح رجال الإطفاء يقومون بحرق المنازل التي تحتوى الكتب بدلا من إخماد النار بها، حتى تغير أحدهم (جاي مونتاج) وأصبح يقرأ الكتب ويحس بها ويتأثر بها، فتتغير حياته رأسًا على عقب حتى يجري التغير على المجتمع بأكمله.

تعكس رواية (هاكلبري فن) للكاتب (مارك توين) طباع وعادات وتقاليد المجتمع القديم، فنجد الطبقة الراقية على قدر من التعليم، تلتزم بالتعاليم الكنائسية، وتتخذ من الذوق والإتيكيت طريقًا للتعامل فيما بينها. أما الطبقة الدنيا من العبيد والخدم، والتي تتسم بقلة التعليم، فهي فقيرة من ناحية المال أو حتى العلم، فيتخذون من الخرافات نهجًا لمعاملاتهم، وخلال ذلك نجد مجموعة من العواطف والمواقف والذكريات تعمل على نسج جو درامي يضيف الرزانة إلى جو المغامرات الذي في بعض اللحظات يخطف لب القارئ.

الموضوع:

إذا نظرنا للرواية التي بين أيدينا (هاكلبري فن) للكاتب (مارك توين) فسنجد أن الفتى هاكلبري مثير للدهشة، فهو لديه من الجرأة ما يواجه به المغامرات التي مر بها، ومن الذكاء وحسن التصرف

حينما حاول أن يهرب من الملك والدوق المزيفين الذين لقيهما صدفة بعد الهروب من مزرعة أركانسو، وفي موقف آخر، حينما وصل إلى (مزرعة فيلبس) وقابله أهل (توم سوير) على أنه هو (توم) فقد سايرهم واستطاع أن ينسل بينهم، ومن المروءة ما جعله ينقذ الفتاتين من حيلة الملك والدوق المزيفين في (مزرعة بيتر ويلكس)، وأيضا عدم تركه لأحد ممن كانوا في الباخرة بالغرق والاتجاه إلى حارس المعدية وإقناعه بالذهاب لإنقاذهم.

هاكلبري فتى يبحث عن الحرية والانطلاق إلى خارج بيت (الأرملة دوجلاس) حيث يجد المغامرة كل يوم دون ملل ورتابة، لكن نظرًا لأنه وجد كنزًا مع صديقه (توم سوير)، وتولى القاضي (تاتشر) توظيف المال، واتخذت الأرملة منه ابنا، فقد أصبح مقيدا بالنظام الصارم داخل بيتها، لكن على أي حال، عندما واتته الفرصة مرتين أخريين فعلها؛ ففي الأولى قام بتكوين جماعة من المغامرين يرأسها (توم سوير) تقوم بمغامرات وهمية، أما الأخرى فقد كانت لنهاية الرواية، عندما بدأ أباه في الظهور، وقد خطفه في أحد المرات وذهب به إلى الغاب، حتى حانت له الفرصة فهرب إلى الجزيرة وعليها قابل رفيقه الزنجي (جيم) ، الذي صاحبه في كل مغامرة وخطر من المخاطر داخل الرواية.

يضفى على شخصيته الإيمان بوجود النحس، ويعتقد في نذر الشؤم، وفي نفس الوقت لا يؤمن بأهمية الصلاة، وهذا جزء من شخصيته المستقلة، والدليل على ذلك محاولات الآنسة (واطسون) في أن تجعله يصلي ولكن ذلك لم يجد نفعا معه، كما تظهر استقلالية شخصية فتانا في عدم تأثره باعتقاد توم سوير في جماعة المغامرين بوجود الجن ووجود أداة لاستدعائهم كما كان يعتقد هو توم.

يظهر التأثر بثقافة المجتمع في شخصية الفتى (هاك)، كما كان يدعوه (جيم)، فنراه في مواقف يتحكم في تفكيره عادات وتقاليد مجتمعه، فنرى على الرغم من كون فتانا ورفيقه أصدقاء إلا أنه جاءت لحظة فكر فيها بتسليمه، خاضعا لمجتمعه الذي يهرب فيه الزنوج من العبودية، التي ليس لهم إلا هي، لكنه لم يترك صديقه، وإنما استطاع أن يفلت من هذا الموقف بالادعاء أنه لديه الجدري مما أبعد الآخرون عن الاقتراب من العائمة خوف من انتشار العدوى إليهم. كما تظهر ثقافة الثأر كجزء لا يتجزأ من المجتمع القديم وفي كثير من الأماكن النائية في العالم، ففي مزرعة أركانسو، كانت حرب الثأر دائرة بين عائلتي (جرانجفورد) و(شبردسون).

إذا نظرنا عن قرب لسبب تغير مجرى القصة إلى خارج المدينة، من الغاب إلى العائمة إلى ما مر به فتانا ورفيقه في البحر، هو ظهور أبيه، ذلك الأب غريب الطباع الذي لا يريد أن يصبح أبنه شخصا محترما أو حتى متعلما، فهو يعكس شخصية بائسة ميئوس منها، حتى المرة التي حاول فيها القاضي إصلاحه، لم يكمل ليلة حتى عاد إلى الحانة والشارع مرة أخرى.

أما إذا نظرنا إلى الرفيق الزنجي (جيم) فهو مثال حي للعبد الذي يبحث عن حريته ويحلم بها في كل مرة يمر بمدينة يظن أنها (كايرو)، كما أنه يتوق شوقا لعتق زوجته من العبودية مهما كلفه الثمن. أيضا قلة معرفته وتعليمه أدت لأن يكون سلوكه غريبا مستسلما للخرافات حول الأرواح والأشباح ومعرفته للقدر من خلال كرة صغيرة رثة في يده.

استطاع مارك توين أن يدمج ببراعة الكثير من الشخصيات المختلفة والعادات والتقاليد في رواية واحدة ذات جسد واحد، لقد جعل من يقرأ الرواية لا يفكر في فتانا ورفيقه على أنهما سيد وعبد، ولكن شخصان يتشاركان نفس الهدف في البحث عن الحرية، بل وجعلهما أشد القرب من بعضهما البعض، فلا يكاد يقع حدث جليل يختفي فيه جيم إلا ويصبح القارئ مشدودا ومنتبها لكي يعرف إلى أين انتهى مصيره، فبذلك استطاع أن يجذب الانتباه للأحداث بربطها مع بعضها البعض بخيط رفيع جدا من التشويق.

على الرغم من روعة مارك توين في إضافة حبكة درامية إلا أنه زاد من الوصف في كثير من المواقف، فكان يسهب ويطيل في ذكر تفاصيل المكان أو المشهد الذي تقع عين فتانا عليه، مما كان يضيف نوعًا من الشعور بالملل، لكنه كان بارعا في كونه استطاع توظيف كل شخصية في مكانها وزمانها توظيفًا صحيحًا. كما نجح في أن يعكس جزءًا من تربية الفتى في منزل الأرملة وذلك بنظرة عينه إلى بعض الكتب وقراءتها ومعرفة بعضها أو اللوحات الفنية التي لاحظها مثل ما في منزل (مزرعة بيتر ويلكس).

أظهر مارك توين العاطفة أكثر من مرة، فيظهر أحدها في البداية عندما كان هاك على وشك أن يسلم رفيقه لرجلي الشرطة حيث أحس بضيق شديد جدا إلى أن عرف قيمة ما فعله ووفاءه بعهده مع رفيقه. أما الآخر ما حدث في قلب الرواية، عندما حكى جيم لـــ (هاك) عن معاملته القاسية لابنته إليزابيث وما حدث عندها من ضربه لها عندما لم تفهم أو تسمع ما يقول، بل أكتفت بالوقوف مرتسمة

على شفتيها ضحكة لأبيها وذلك لكونها بكماء صماء. أما الموقف الآخر هو قصة الحب التي ظهرت بين ابنة عائلة (جرانجفورد) وابن عائلة (شبردسون)، هذه العاطفة البريئة التي ظهرت وسط نيران الثأر.

تظهر في الرواية أيضا شخصية توم سوير، ذلك الفتى المعقد في التفكير، فلا يجد فرصة سهلة لعمل شيء إلا وأراد أن يجعل الموقف يختلف تماما، فهو كما يمكن أن نقول (طبل أجوف) فلا نسمع منه غير صوت، أما المحتوى فيكاد يكون ليس موجودًا بالمرة، فهو لم يقم بمغامرة واحدة حقيقية مثلما قام هاك، وإنما يتحجج دائما بالقصص والروايات التي قرأها.

خاتمة:

نخرج من رواية (هاكلبري فن) للكاتب (مارك توين) بأن الأمل والعمل كلاهما أساس لتحقيق أي هدف مهما كانت صعوبته، فنرى الكثير من العلماء لم يكونوا ليكلوا أو يملوا من العمل ليل نهار حتى يكتشفوا شيئا ما، أو أن يثبتوا وجه نظر، فتوماس إديسون "الذكاء واحد بالمائة إلهام، والتسعة وتسعون بالمائة الباقية عرق"، وهذا ينم عن أهمية العمل لأجل تحقيق الأهداف في حياتنا – ولاسيما نحن الشباب – في وقت حرج، في أشد الحاجة فيه إلى مثل ذلك القول، ولكن عندما يحدث الفشل ولو للحظة واحدة، يجب أن نتذكر قول إديسون " أنا لم أفشل، ولكن اكتشفت 999 طريقه لعدم إنجاح التجربة" وبجانب ذلك نحتاج إلى الخيال الذي إن كان جميلا، ممكن أن نصنعه مثل العديد من الاختراعات في تاريخ البشرية، وفي ذلك يقول ألبرت أينشتين "التخيل أهم من المعرفة".

إن حياتنا تعتمد على البيانات، التي إن نسقت أصبحت معلومات، وإن تراكمت أصبحت معرفة تعتمد عليها حياتنا، وهنا تظهر المشكلة الأكبر وهي الحكمة التي نستطيع بها إدارة هذه المعرفة وتوظيفها توظيفا صحيحا لكي نخرج منها بتطبيقات مباشرة إلى الإنسانية التي أصبحت في حاجة لإشباع جياعها، ولتنقية مياهها، ولتأمين مأوى ومستقبل لأطفالها.

خاتمة القول إن (مارك توين) جعلنا نفكر بشكل عميق في نمط حياتنا وأسلوبنا الذي نعيش ونحيا به، فأصبحنا وأمسينا وصاحبنا مع كل طبقة من المجتمع رأيناها، وفتح أعيننا على من كنا نغفل أعيننا بعيدا عنه، وإن كان هذا ما يجب علينا أن نفعله، لكي نتسم بكوننا بشر، فالحب والكره، الخير

والشر، جزء لا يتجزأ منا، ولكن أيهما تفضل أن نكون، هذا ما مر أمام أعيينا، في كل الشخصيات، لذلك فنستطيع أن نعتبرها تربية وتهذيب للنفس، وخبرة حياتيه واسعة، فنرجو أن يكون شبابنا على اطلاع بهذه الرواية لما فيها من خبره، قلما يجدوها في مكان أخر.

المراجع:

1- مشروع القراءة الكبرى – المقالات باللغة العربية:

- قراءة نقدية في رواية مغامرات هاكلبري فن – علي أحمد عطا الله
- مغامرات هاكلبري فن – تامر شعبان ربيع
- تحليل نقدي لرواية مغامرات هاكلبري فن – محمد أبو الفتوح قرني
- مغامرات هاكلبري فن: رواية الأطفال التي لم تكن كذلك – محمد حمدي عبد الحكيم بدري

http://www.bibalex.org/libraries/bigread/Contests2010/Essays2010_AR.aspx

2- أقوال توماس إديسون:

http://www.brainyquote.com/quotes/authors/t/thomas_a_edison.html

3- أقوال ألبرت أينشتين:

http://rescomp.stanford.edu/~cheshire/EinsteinQuotes.html

4- الخاتمة – المحاضرة الافتتاحية – د/إسماعيل سراج الدين، مدير مكتبة الإسكندرية – المؤتمر الدولي "رؤية حيوية" إبريل 2010 – مكتبة الإسكندرية – عنوان المحاضرة " Future Prospect".

http://webcast.bibalex.org/Home/Biography.aspx?ID=Jksv1YgZzj94wTpgtJv==PGg